أبناء العرق الغربي الكبير و استئناف الجهاد على الحدود الجزائرية المغربية

أ.دحمان تواتي
جامعة ادرار

بعد بحثنا في سير المعارك الرئيسة في **حاسي غامبو** 21 نوفمبر 1957 و **حاسي علي** 7ديسمبر 1957 داخل منطقة العرق الغربي الكبير ، تبين لنا أن جيش الاحتلال قد استفاد من عامل الميدان المكشوف ومن تفوقه التقني ولاسيما في المجال الجوي.

لكن النتائج التي حققها ميدانيا لم تخل من جرائم الحرب ، لأن الشهادات المباشرة تبين استعماله الأسلحة الكيماوية التي بدت آثارها على أجساد شهداء حاسي غامبو، و الحقيقة أن توفير مثل هذه الأسلحة لم يكن أمرا صعبا ولا يتطلب وقتا طويلا ما دامت ليست ببعيدة عن مسرح العمليات، فهي تنتج بكثرة في قاعدة B2 في وادي النموس منذ سنة 1935 [1]. كما لا يعترف العقيد **بيجار** بإعدامه الأسرى الذين نفذت ذخيرتهم و ولائهم [2].

في هذه المرحلة من البحث رأيت من المناسب تتبع النشاط الجهادي لأبناء العرق الغربي على أطراف الحدود الجزائرية المغربية و حتى داخل التراب المغربي من خلال شهادات السادة : **الدين سليمان** و **بلعقون ميلود** و **الشيخ بريك** ، **المدعو عيشاوي** و فضلت أحيانا نقل أقوالهم كما هي و دون اضافة تعليق عليها .كما حاولت أن أعود إلى وثائق الثورة الجزائرية التي تناولت تلك الأحداث في تلك المنطقة و التي تميزت باتخاذ المغرب كقاعدة خلفية للثورة الجزائرية وما ترتب عن ذلك التواجد الكثيف لجيش التحرير الجزائري و معهم

اللاجئون و ردود فعل القوات الفرنسية و السلطات المغربية وحزب الاستقلال الذي كان على رأسه **علال الفاسي** والمشاريع التي كان يريد تحقيقها .

انسحب المجاهدون إلى الشمال للاحتماء بالمناطق الجبلية في نواحي **البيض** وكانوا اثنا عشر رجلا نقلوا أخبار المعارك التي جرت في العرق الغربي إلى قيادة الولاية الخامسة، التي قررت نقلهم إلى ناحية **عين الصفراء** ، حيث كان أقرب مركزين لجيش التحرير بجبلي "**حيمر**" و "**بوعمود**".

عبر المجاهدون بجبل "**مقره**" المعقل السابق للمجاهد الجليل سيدي **بوعمامة**، و من هناك أصبح بإمكانهم رؤية الأسلاك الشائكة التي أقامها جيش الاحتلال، لكن حفاوة الاستقبال وحرارته التي خصهم بها مجاهدو المنطقة أنستهم مشقة السفر و برد الشتاء القارص الذي ضرب المنطقة شتاء تلك السنة [3].

انتقل المجاهدون إلى "بن يخو" وهي قرية منع جيش الاحتلال عن أهلها استقبال الغرباء و أمرهم بالتبليغ الفوري عنهم إذا وصل إليهم و مع ذلك أخفوهم و مرروهم عبر الحواجز و أوصلوهم إلى مركز جيش التحرير الذي وجدوه خاليا من جنوده لأنهم خرجوا جميعا في مهمة على الحدود لتخريب الأسلاك الشائكة .

بإرشاد من المسبلين انتقلوا إلى مركز "**مير الجبل**" و هو عبارة عن مغارة كان يحتمي بها **علي بن صالح** هذا الثائر على فرنسا قبل الثورة ، وهو أشبه **بقرين بلقاسم** في الأوراس ممن تسميهم

الكتابات الفرنسية " Les Bandits d'honneur" ومنها انتقلوا الى قرية "**بيش** " ، تلك القرية المغربية داخل التراب الجزائري .

كانت أوامر الثورة أن لا يدخل القرية أحد إلا إذا كان مضطرا لتجنيب أهلها جرائم العدو، وهم الذين عرفوا بتأييدهم الثورة و تعاطفهم الكبير معها.

انتقل مجاهدو العرق إلى جبل" **بني سمير** " حيث كان مركز العقيد **هواري بومدين** وعندما اتصلوا بقيادة الناحية ، أمرت بإحضارهم فورا حيث استقبله السيد **مقراني** و استضيفوا في مكان كان مستشفى تعمل به نساء مجاهدات ارتدين الزي الرسمي للثورة .

نقل المجاهدون العشرة إلى القسم الأول التابع للناحية الواقع في جبل بني سمير تماما فوق بني ونيف، وكان قائد القسم السيد **الطاهر محمد** من مدينة تيبازة وهو أحد قدماء المحاربين في الهند الصينية ، كما جاهد ضد القوات الفرنسية في صفوف جيش التحرير المغربي وكان الرجل إلى كل ذلك مثقفا وخبيرا في حرب الكمائن .

كان أول ما قام به أن اختبر أبناء العرق على الرمي فاندهش القائد لدقة رميهم و دمجهم بسرعة في كتيبته وأصبح الدين سليمان يعرف بسليمان "التيرور " أي القناص و مع ذلك سلم رشاشا من نوع MAT 24-29 وكان ثقيلا مقارنة بالسلاح الخفيف الذي تعود عليه المهارية، كما سلم للسيد حكومي

رشاشا من نوع MAT36 و نقلوا إلى " **السرج**" وهي في قمة جبل بني سمير .

أصبحت مهام المجاهدين القادمين من العرق ، غرس الألغام في الطرق التي تمر منها دوريات العدو ولاسيما التي تقود إلى ممرات بني سمير ، كما تمثلت مهامهم في تخريب السكة الحديدية في نواحي " **الزوبية** " و "**جنين بورزق**" و حتى **بني ونيف** ، وكان يشترك في مثل هذه العمليات نحو ثمانين من المجاهدين في العملية الواحدة ،كما استعملوا أنابيب مزودة بالمتفجرات تعرف ب**البنغالور** ، لتدمير مساحات واسعة من الأسلاك الشائكة التي ما إن تنصب أو تصلح يعود المجاهدون إلى تدميرها ، و هو سلاح فعال استقدم من الصين الشعبية و يفيد أيضا في تفجير الألغام و الاقتحام السريع للخط [4].

تطلب العمل الجديد هذا تدريبا متواصلا في الليل كما تخصص البعض منهم في نزع الألغام المتنوعة و محاولة استرجاعها في صنع القنابل و إعادة استعمالها ضد قوات العدو .

كان المجاهدون يستعملون "الفرينة " لتعليم الألغام واستعملوا مقصات يدوية اشترتها الثورة من ألمانيا قصد اختراق خط شال الجهنمي، الذي كان معززا بأكثر وسائل الاستشعار تطورا[5] والذي سقط عند أعتابه المئات من المجاهدين في هذه المنطقة ، ففي ليلة واحدة قتل خمسة مجاهدين[6].

جيش علال الفاسي " الزوكيت " و الثورة الجزائرية :

فصول من تطورات الثورة الجزائرية على الحدود الجزائرية المغربية كانت تجري أمام مجاهدي العرق ولاسيما أن جزءا منها جرى داخل التراب المغربي ، هذا البلد الذي نال شهر مارس 1956 استقلاله الذاتي تحت ضغط الثورة الجزائرية شأنه في ذلك شان تونس و في نفس التاريخ !

كان جيش التحرير المغربي تحت قيادة **علال الفاسي** الذي رسم بعصاه سنة 1956 على الرمل ما اسماه "خريطة المغرب التاريخية "[7] و نشر حدودها في مجلة " الصحراء و المغرب " بحيث تضم الصحراء الغربية وخط الطول الموازي لمدينة **فقيق** وفي الجنوب يحدها خط العرض الذي يعبر مدينة سانت لويس السنغالية[8] وقال في مدينة فقيق بتاريخ 20 ديسمبر 1957:" إن ارض الصحراء ليست حدودا إقليمية فقط ، إنها وحدة اقتصادية و منبع حيوي لرخاء بلدنا ، إن حدودنا الطبيعية محددة بخط العرض الذي يوحد سان لويس في السنغال إلى مليلية مرورا بموريطانيا و توات و قورارة و بالتالي دخول كولومب بشار و قنادسة تدخل ضمن الوحدة الترابية لإقليمنا "[9].

و الحقيقة أن الرجل قد حاول سنة 1959 فرض حقائق جديدة على أرض الواقع في وقت كانت الثورة الجزائرية تواجه العمليات الكبرى للجنرال شال و خطه الجهنمي على الحدود الشرقية

و الغربية ، وهذا لان علال الفاسي أصبح يشعر بتراجع نشاط الثورة و أصبح يشك في انتصار الثورة الجزائرية أو لا يريد انتصارها على الإطلاق .

كانت عناصر جيش "**الزوكيت** " ،ويسمون أيضا باليد الحمراء ، وهي عناصر مشكلة من جيش التحرير المغربي تابعة لحزب الاستقلال ويديرها علال الفاسي تنتقل ،حاملة مكبرات الصوت، بين مخيمات اللاجئين الجزائريين و حتى المناطق الجبلية حيث معاقل جيش التحرير الجزائري مرددين " لماذا تقاتلون فرنسا ؟ انتم مغاربة لقد استقل المغرب عام 1956 سنقوم برفع العلم المغربي عن قريب في بشار "[10].

والحقيقة أن هذا العمل قد جعل عددا كبيرا من المجاهدين المتعبين المتأثرين بالدعاية و الإغراء ، أو لان أهاليهم لاجئون بالمغرب ، يلتحقون بمجموعات علال الفاسي مما شكل نزيفا حادا في صفوف الثورة التحريرية في هذا التاريخ الدقيق و العصيب ، ذلك انه كان يسجل يوميا بين خمسين و سبعين مقاتلا جزائريا كانوا يلتحقون بصفوف علال الفاسي مزودين بأسلحتهم وهذا ما جعل السيد المقراني قائد الناحية يصاب بالصدمة النفسية [11].

وقد ضيق الزوكيت على المجاهدين و شغلوا قيادتها و جنودها عن الثورة و محاربة العدو الفرنسي بعد أن سكنوا مع المجاهدين في الجبال .

كما تحولت مناوئة الزوكيت لجيش التحرير الجزائري إلى اشتباكات كثيرة استشهد في احدها بلهاشمي معمر شقيق الشهيد محمد بلهاشمي، كما تطور نشاط علال الفاسي و حزب الاستقلال إلى منع المؤونة على جيش التحرير الوطني دون أن يكون الملك محمد الخامس على دراية بذلك[12].

كانت كتائب جيش التحرير في جبل بني سمير تحتجز أسرى من الجيش الفرنسي و منهم بعض مرتزقة اللفيف الأجنبي في انتظار ترحيلهم ، كما كان هناك جرحى من المجاهدين ولم تستطع نقلهم إلى المغرب أو ان تطعمهم لان المؤونة أخذت تنفد و انتشر القمل في رؤوس وأجساد المقاتلين [13].

وقد اضطر المجاهدون في جبل" قروز " إلى إخراج الوضع من حالة الصمت وأبلغوا القيادة في ناحية "فقيق " يحذرونهم أن صبر الجنود قد نفد وأنهم سوف لا يلتزمون بعدم الاشتباك في حالة مواصلة تجويعهم و اعتراض قوافل الإمداد .

و الغريب أن الأوامر التي جاءت المنطقة كانت تأمر "أن سلموا أنفسكم للمغاربة و لا تشتبكوا معهم إذا يئستم لان اللاجئين الجزائريين بأرضهم "، و تحولت مناوئة الفاسي إلى التعاون مع القوات الفرنسية و إبلاغهم بوضعية المجاهدين الجزائريين الصعبة في بني سمير، كما وصل قوات العدو خبر وجود أسرى من عساكره في المنطقة و وجود مرضى كثر في مستشفى "**عين الديس** "[14].

قامت قيادة الناحية بمحاولة تموين المجاهدين في بني سمير و جبل قروز عن طريق فقيق باستعمال الإبل و البغال في انتظار توصيلها إلى مستشفى جبل الديس أيضا ، بيد أن قوات الزوكيت كانت بانتظارهم و اشتبكت معهم كما وصلت في نفس الوقت طائرات استطلاع العدو الفرنسي .

على ضوء ذلك ، دعت قيادة الناحية بشكل فوري إلى اجتماع للمجاهدين و اخبروا الجميع بمصير القافلة و التخابر الحاصل بين قوات الزوكيت و الجيش الفرنسي و قرر الجميع النزول من الجبال و مهاجمة القوات الفرنسية في" رصفة المرابط " و تمكنوا من قتل ستة عساكر كان بينهم ضابطا برتبة نقيب .

كما قرر قائد المنطقة السيد الطاهر محمد[15] إرسال الأسرى إلى الناحية لتنظر في أمرهم بعد أن وضعوا على دواب وكان المجاهدون يسيرون على أرجلهم ([16]).

و بينما المجاهدون سائرون في منطقة حمادة مكشوفة باتجاه الناحية في فقيق ، أطلق الزوكيت النار على المجاهدين الجزائريين فما كان من هؤلاء إلا الرد مما اضطر المعتدين إلى الفرار بجلودهم .

وقد شرعت القوات الفرنسية بقيادة **بيجار** في عملية تمشيط واسعة في جبل بني سمير لاستغلال الوضع الصعب و العثور على الأسرى ، لكن المكان الذي استهدف لم يكن دقيقا رغم قربه من مواقع المجاهدين كما كانت قيادة المنطقة على علم مسبق بالعملية [17].

وقد دام حصار بني سمير ستة أيام تبعها قصف بالطائرات و تمشيط باستعمال الكلاب المدربة دون أن يضفروا بشيء بل سجلوا خسائر معتبرة وكانت بعض الطائرات تنطلق من التراب المغربي رغم ادعاء العدو سحب قواته التي أعاد تجميعها بنقلها مثلا من فقيق و المنقوب و الى بوعرفة لتعزيز القوات البرية و الجوية المتواجدة هناك[18].

معركة جبل قروز بداية سنة 1959:

أعطى السيد عقبي عبد الغني[19] تعليمات بعدم الاشتباك مع المغاربة، فلما سارت قافلة التمويل نحو جبل قروز ،أطلق عليهم الزوكيت النار وقد عرض الهاشمي معمر على المغاربة جزءا من المؤونة مقابل تركهم وسبيلهم ، لكن الزوكيت أطلقوا النار فما كان من المجاهدين إلا الرد و قتل منهم الكثير ، وفي فترة الاشتباك جاء الجيش الفرنسي وحاصر القافلة فتوسع الاشتباك و تحولت إلى معركة استشهد فيها عدد كبير من مرافقي القافلة و اسر منهم بين عشرين و ثلاثين نفرا[20]. ويشهد السيد الدين سليمان أن الطائرات الفرنسية كانت تقنبل مواقع المجاهدين بدقة ولا تصيب المغاربة الذين كانوا يرفعون أعلاما كبيرة على مواقعهم .

غير أن جيش الزوكيت قد تفرق منذ هذه الواقعة ولم يبق منه إلا خمس عشرة عنصرا اتجهوا جنوبا بعد أن تسببوا في خسائر كبيرة و نزيف قوي في صفوف الثورة.

وقد اضطر المجاهدون إلى الانتقال نحو منطقة "رصفة المرابط " وكان السيد الطاهر يجتمع إلى جماعة من المجاهدين يأتي بعضهم من عين الصفراء مثل السيد **زكريا** و **لوراس محمد** و **الدوبالي محمد** من البليدة المدعو "**السكوندال** " و في حادثة فريدة من نوعها خرج الجميع من عند السيد الطاهر محمد منتصف الليل من معقله في إحدى المغارات وخرج في توديعهم ، لكن انفجارا غريبا و مفاجئا وقع عند عودته إلى المغارة انتهى بمقتله .

اعتقد الدين سليمان أن المغاربة استعملوا سلاح الهاون ، لكنه عندما دخل المغارة بدا له أن المصباح قد انفجر وقد بدا للمجاهدين أن الجماعة التي كانت معه هي التي اغتالته بالتواطؤ مع الزوكيت.

وقد أسرع السيد **بكري بوعمامة** من بني ونيف إلى تصويره قتيلا داخل المغارة كما صوره موشحا بالعلم الوطني داخل قبره[21].

يقول الدين سليمان: " إننا أحببنا الرجل أكثر من أنفسنا ، نظرا لإخلاصه و تواضعه الشديد لدرجة أن المجاهدين لم يكونوا على علم بأنه المسؤول عن القسم ، كان ملتزما بالصلاة وقد حل رمضان على المجاهدين بالمنطقة و دعا الصائمين إلى الإفطار استجابة لأوامر القيادة و شفقة عليهم" .

في جبل بني سمير :

كان أبناء العرق في ناحية جبل بني سمير لما أعلن عن تأسيس الحكومة المؤقتة شهر سبتمبر 1958 وقد وصل ضباط من جيش التحرير وجمعوا الجنود في "**رصفة الطيبة** " في منطقة بها مياه عذبة و وفيرة وبها يقع مقر المنطقة . تدخل أحد الضباط وقال:" ان الحكومة الجزائرية المؤقتة قد قامت و إن الاستقلال وشيك" ودعاهم إلى المزيد من الصبر و الثبات ، كما زود المقاتلين بقطعتي سلاح " هاون 80 مم "[22].

عين على الجنود السيد **بوزيد القبايلي** المعروف ب " **لعور**" لان عينه اليمنى قد فقئت نتيجة انفجار لغم وكان يجهل العربية و يكتب الفاتحة و سورة الإخلاص باللغة الفرنسية حتى يتمكن من الصلاة ، كان مختصا بنزع الألغام المضادة للأفراد وكان يتميز بالشجاعة لدرجة انه نزع في ليلة واحدة تسع مائة لغم[23].

تشكلت كتيبة ترأسها السيد الدوبالي احمد " السكوندال " وكان من بين أفرادها الدين سليمان كما تشكلت كتيبة أخرى وأمرت القيادة الجميع بالسير إلى **سفيسيفة** قرب عين الصفراء ، لاختراق الأسلاك الشائكة و مهاجمة الموقع العسكري ، باستعمال " الهاون 80 "مما أقلق كثيرا قوات العدو التي تهاطلت عليها القذائف ، لكن نيران العدو كانت أكبر فانسحب الجميع و فضل القائد جلب لغم من بين الأسلاك كان فريدا في نوعه و رأى ضرورة اكتشاف أسراره.

وقد تساقطت الثلوج بكثافة ناحية سفيسيفة مما جعل انتقال المجاهدين شاقا بين جبل "مكتر " إلى "مير جبال " وخاصة أن مجموعة من ستة مجاهدين كانوا يحملون اللغم المشار إليه .

تخلف السيد الدين سليمان عن الجماعة ولم يكتشف رفاقه الأمر إلا بعد قطع شوط بعيد لمدة يومين، عندها أدركوا أن " القناص " غير موجود بين الستة فثار غضب القائد لعور وأمر بالعودة للبحث عنه، ومنهم من اعتقد بأن الرجل قد سلم نفسه للعدو او التحق بالزوكيت .

غير أن الدين سليمان لشدة تعبه قد نام وتساقطت عليه الثلوج و اختفى كليا عن الأنظار مدة ثلاثة أيام بأكملها ولم يدل عليه إلا ماسورته التي بقيت مكسوة بثلج خفيف. عندما وصل رفاقه جذبوا ماسورة البندقية فتحرك الرجل و عاد إلى الحياة كأهل الكهف باندهاش الجميع وفي مقدمتهم قائد الكتيبة لكن الحادثة سببت له فيما بعد مرض الروماتيزم[24].

وقد عرف السيد الدين قائدا جديدا يسمى احمد من ناحية وهران وكان رجلا متمكنا في الفقه و اللغة والحديث نظرا لمزاولته الدراسة في مدارس جمعية العلماء و تتلمذه على **عبد الحميد بن باديس** شخصيا .

قال السيد أحمد الوهراني : " عليكم بالعمل و التنفيذ و الصبر واذا جاءنا الجنود ارحتكم وانتم تعلمون ان عملنا شاق فيه الحراسة و نقل التموين و تخزينه وقال لنا متواضعا : " كلكم قيادة " رافعا

معنويات الجنود بآيي القرآن و الحديث الشريف ، و الحقيقة أن الثورة ما كانت لتنجح دون هؤلاء على حد رأي السيد الدين سليمان.

ويبدو أن المنطقة قد كانت تتلقى في بعض المناسبات بعض الأسلحة الجديدة و الثقيلة ، فإلى جانب الهاون تحصلوا على رشاش مضاد للطيران يسمى "**الويكير**" جيء به عبر جبل قروز بعد رحيل الجنود من هناك.

ومع بداية شهر جانفي 1959 جاءت أوامر القيادة العامة للحكومة المؤقتة بشن هجوم عبر الحدود الشرقية و الغربية لتخريب الأسلاك الشائكة وهذا يظهر الصعوبات التي أصبحت تواجهها الحكومة المؤقتة في تمويل الداخل بالذخيرة و السلاح .

في الجهة الغربية وصلت قوات من جبل قروز على رأسها السيد منصور من مستغانم و انقسمت القوات إلى مجموعات صغيرة من خمسة عشر مقاتلا ، قصد اختراق الأسلاك الشائكة ،لكن المهام لم تتم رغم مرور أسبوعين عن الموعد بسبب التواجد الكثيف لقوات العدو و الكمائن التي كانت تنصبها ، مما اضطر الجماعة إلى خزن البنغلور و تعهدهم بعدم العودة إلى مواقعهم إلا إذا نفذوا العملية .

تحولت المهمة إلى نصب كمين لقافلة شاحنات ودبابات العدو في الليل، ثم انسحبوا فورا و تبعها عملية تمشيط و رقابة من الجو انتهت باشتباك في "جبل سرج " ناحية بني سمير وكان حكومي

الشيخ قد انسحب مع ثمانية وعشرين جنديا وفيهم الجرحى ، لكنه اخذ الرشاش الكبير وعدة رشاشات أخرى .

ظلت المعركة حامية الوطيس إلى مغرب الشمس وأحصى المجاهدون احد عشر شهيدا وأسرت قوات العدو مجاهدا من البيض و استولت قوات العدو على الرشاش الكبير و رشاشات الشهداء[25].

عندما توقف الجميع في مركز جبل " الركيزة " كانت الخسائر في السلاح كبيرة و في الرجال اكبر مما جعل بعضهم يلوم حالة التردد التي انتابتهم بين الانسحاب الاستراتيجي الضروري و قرار المواجهة غير الصائب الذي اختاروه مما جعل نفر قليل من المجاهدين يواجهون لوحدهم قوات كبيرة من العدو الزاحف برا و جوا .

أمر السيد عبد الغني ، قائد المنطقة ، مجموعة المجاهدين بضرورة العودة سريعا إلى أرض المعركة في بني سمير لدفن رفات الشهداء و بعد ثلاثة أيام لم يجد من مجيب فقال: " من يريد الجهاد فليقبل و من يريد الأكل فليبق حيث هو " عندها خرج ستة عشر رجلا منهم السيد سليمان الدين ساروا وبعد يومين وصلوا " رصفة المرابط " ومنها إلى ارض المعركة حيث لا تزال أجساد الشهداء الطاهرة فأخذ كل واحد يدفن شهيدا .

يقول الدين سليمان :" حفرت قبرا وعندما كنت بصدد حمل الشهيد انفصل جزء كبير من كتفه و صدره فصدرت و اللّه رائحة زكية وددت لو أدخلت راسي بها و واللّه لم أر مثلها أبدا "[26].

وفي تلك اللحظات بدأت قوات العدو تحاصر المكان فانسحب الجميع تحت نيران العدو الذي احتل المناطق المرتفعة، لذلك احتمى المجاهدون بالصخور ومنهم بوعمامة ،من بشار الذي كان ممرضا، وهكذا انسحب الدين مع السيد قدور بضياف في جنح الليل وساروا عبر الوادي حتى خرجوا من الحصار.

منذ تلك الأحداث أصبح الدين سليمان يسير زاحفا عندها وجه إلى مستشفى للثورة وعالجه هناك الدكتور **حمليلي بشير**، الذي دأب على إخراجه للشمس و ترويض رجليه وشدها كما كان يدلك رجله بالمرهم وظل الحال كذلك مدة أربع أشهر كاملة .

وقد نقل الأطباء هذا المجاهد إلى فقيق ومنها إلى قاعدة بن مهيدي في وجدة حيث شعر بعض القادة أنهم يتمارضون و لا يريدون القتال، فنقلوا على جناح السرعة إلى كتائب جيش التحرير الوطني في المنطقة الثانية وكان عددهم ستة عشر[27].

رفض هؤلاء القيام بالأوامر فهددهم السيد **احمد بن احمد** ،مسؤول المنطقة الثانية، بالعقاب و منع الطعام عنهم وكان يعرضهم لحر الشمس دون أن يسلم لهم الغذاء ، ثم نقلوا إلى مغارة وأشاعوا أنهم نفذوا فيهم الإعدام ، فما كان من رفقائهم إلا أن تمردوا وصعدوا المناطق الجبلية و رفضوا الحديث إلا مع العقيد **بومدين** أو **قايد**

احمد وطالبوا برؤية الرفقاء الذين قيل أنهم قتلوا .جاء الرائد رشيد فرفضوا مقابلته إلى أن جاء قايد احمد فطلبوا منه رؤية رفقائهم .
اخرج الغاضبون من المغارة ونقلوا إلى **قاعدة بن مهيدي** و ما إن تناول الجميع العشاء أصيبوا بحالة تسمم عامة داخل القاعدة وربما كان ذلك من فعل المخابرات الفرنسية بالتعاون مع عملاء مغاربة أو جزائريين .
تدخل الأطباء و الممرضون فورا وعملوا فورا على إفراغ المعدة و الأمعاء من الطعام، لكن الواقع قد مات الكثير من السجناء جراء هذا التسميم ولم يصلهم الدواء.
بعد هذه الحادثة قررنا الخروج من المنطقة وعدنا إلى الولاية حيث شرعوا في نقل السلاح داخل التراب الجزائري ولما عرفوا أن الجماعة من توات ألحقوهم بالقافلة التي كانت مشكلة من ستة أفراد ، حيث ساروا إلى الحدود قرب منطقة بوذنيب المغربية وساروا من هناك إلى الحدود وطلب بن زقمان محمود من الدين كي يصبح قائدا عسكريا على المنطقة ، لكن رغبة الرجل كان في مرافقة بلعقون بن ميلود و رفقائه .

أبناء العرق الغربي الكبير والحرب على جبهتين :

أخذ الزوكيت السيد بلعقون أسيرا إلى السجن وفشلت محاولات رفقاء الدين سليمان إطلاق سراحه، وكان القايد الصديق قد أثار دعايات بأن المجاهدين معادين للمغرب ولما وصل الرائد **لمين ولد**

الهواري ،المدعو نبو ، أخبره الرفاق أن كل ما فعل بلعقون انه كان بصدد بيع جمل جريح .

بلغت الأخبار والي قصر السوق المغربية فأطلق سراح بلعقون وطلب منه مغادرة المنطقة ، كما شرع المغاربة في تحويل بطاقات هوية اللاجئين الجزائريين في مقابل الحصول على المؤونة التي يقدمها الصليب الأحمر الدولي .كان القايد الصديق يغير البطاقة المدون عليها جزائري فيكتب بدلها مغربي لجزائريين يقطنون بشار و عبادلة وغيرهما[28].

ويورد حربي مثالا عن هذا السلوك جرى بتاريخ فاتح جويلية 1958 مع المواطن الجزائري السيد قدور ولد حبيب وهو من أعيان قبيلة ولد حمو من بشار اللاجئ مع قبيلته في بوعرفة ، إذ زاره ضابط من الجيش الملكي وأمره مع قبيلته كي يعلنوا صراحة أنهم مغاربة الجنسية، لكن الرجل قد رفض فأخذ الضابط ولده رهينة وقام بسجنه[29].

أرسل الدين ورفاقه هذه التطورات الجديدة إلى قيادة جبهة التحرير وجيش التحرير عبر مركز بوذنيب ولما وصل الخبر ، تطورت الأمور و تنقل ممثلي الجالية الجزائرية ومعهم الوثائق التي غيرها المغاربة ، فكان من بين القادمين مبارك بوزيان من قبيلة مومني و بوجمعة الحاج و البشرة محمد و نبو المبروك وكان عنصر استعلامات يعمل لحساب جبهة التحرير و معهم الحاج عبد القادر العايب .

قام كاتب الناحية ،وهو صيدلي ، بإعادة كتابة وثائق الجزائريين وركز على الجنسية الجزائرية ، فلما رأى القايد الصديق الوثائق، رفض تموين الجزائريين واشترطوا منهم كتابة الجنسية المغربية على وثائقهم ، ثم تحرك نائب القايد وادعى أن الجزائريين يريدون تافيلالت أيضا .

في هذه الظروف وصل جيش الزوكيت و معهم القايد الصديق و الرائد لمين نبو و طلبوا رؤية المسؤول عن جيش التحرير الجزائري، عندها سار إليهم الدين سليمان و معه المعلم بن مبروك و عزوزي عيسى وكان محافظا سياسيا في جيش التحرير ومعهم الشيخ مومن.

وقد تميز المغاربة بالبرودة في استقبال المجاهدين ويقول الدين سليمان " كنا نعتقد اننا سنتبادل السلام ونتصافح " في حين أن بلمين نبو تكلم وقال انه ورفاقه مبعوثون عن سيدهم وطلب من المجاهدين الظهور في حين اخذ عساكرهم وضعية قتالية .

رد الدين سليمان " أنا لا أتكلم إلا مع المغربي ! فنطق القايد الصديق وقال أنا مبعوث من جلالة الملك " طلبوا أيضا دعم الجيش ، لكن الجيش رفض تلقي الأوامر من غير الملك .

أما المخازنية و المغاربة المرافقون فكانوا دون أكل وشرب ولاحظ المحافظ السياسي معزوزي عيسى أنهم متأسفون و لا يريدون الاشتباك مع إخوتهم الجزائريين وقد أعطاهم الماء و الغذاء و الشاي.

كان الدين سليمان يعارض ذلك لأنهم برأيه لا يؤتمنون برهة ، عندها تدخل احد رؤساء الزوكيت وقال : "ماذا تفعلون ؟ أي لماذا تقدمون لهم الأكل ؟ لكن الدين كان حذرا و أمر الجنود المرافقين له بحراسة البئر و أمرهم برمي القنابل اليدوية في حالة إطلاق الزوكيت النار .

وعندما رجع القايد أثار دعاية كاذبة فتشكلت لجنة من ضباط جيش التحرير الجزائري وآخرين من الجيش المغربي وصادف ذلك تنقل الدين ورفاقه إلى مكان آخر بنصيحة من ضباط مغاربة ، في حين نظم القايد مجموعة مسلحة في المكان استعدادا لمهاجمة رفاق الدين والادعاء عليهم بأنهم هاجموه بالأسلحة .

حاصرت مجموعات القايد الصديق الدين ورفاقه وأطلقوا النار ، فاندلع الاشتباك لمدة ربع ساعة تقريبا و الغريب أن كاتب القسم الذي يتبعه الدين ورفقاءه هو ابن أخت مسؤول جماعة الزوكيت بالمنطقة مما جعله يسب لحية خاله و يذكره بأنه كاذب وانه أبدا لا يمكن أن يكون حاملا لكتاب اللّه .

وقد ادعى القايد أن جيش التحرير الجزائري قد اجتاز الحدود ودخل التراب المغربي و أنه أطلق النار على القايد وجماعته.عندها وصل مسؤول الولاية و طالب والي قصر السوق إحضار الدين سليمان بكل الوسائل[30].

وقد حاول السيد عثمان مسؤول الولاية الخامسة تسوية الخلاف دون جدوى ، لكنه راسل الدين وطلب منه الحضور إلى مقر الولاية ومع من استطاع جلبه معه من الشهود المغاربة .

سار الدين إلى مدينة قصر السوق وأقام في بيت محمود بن عفان وقد قابل مسؤول الولاية الذي اتهم الدين باثارة المشاكل قائلا له : " لو قتلوك لأرحتنا و لو أسروك لأرحتنا " وقد رد عليه الدين سليمان بعنف دون أن يشعر[31] .

قام المغاربة بشد وثاقه ونزع وثائق الشهود الجزائريين المرافقين له وأشبعوهم ضربا و ادخلوه المحكمة و انطلقت عملية التحقيق و المساءلة ، وقد سأل رئيس المحكمة الدين سليمان عن الوقائع فظهر زيف ادعاء القايد و ادعاء لمين ولد الهواري و أضاف الدين: " أن الرجلين خونة ولا ينفعان المغرب" .

تشكلت لجنة تضم والي قصر السوق و القائد العسكري للجيش المغربي و كاتب قائد الولاية الخامسة ، وفي حين وصل قائد الولاية تغيب والي قصر السوق ، عندها اقترح الكاتب إجراء مقابلة بين القايد والدين سليمان

تدخل الدين فأوقفه رائد مغربي عن الكلام وقال : "يجب ان يكون القائد أول من يتدخل" . تدخل وقال: " إن الدين سليمان هو من أطلق النار على المغاربة و جند المغاربة و يهدد الصحراء المغربية "، لكن الدين رد على الاستفزاز بلهجة قوية مكذبا أقوال القايد لكنه تعرض فورا إلى الضرب داخل المحكمة.

وقف الكاتب العام للولاية قائلا :" ما جئت هنا لأرى الضرب و السب و إنما لإجراء تحقيق "عندها اخذ الدين إلى السجن و ترك دون ماء و لا فراش ثم نقل من هناك إلى محافظة الشرطة و حقق معه عدد كبير من المفتشين تراوحت أسئلتهم عن الثورة و عن مصدر السلاح و التموين ..الخ.

لقد عرضوا على الدين أن يزوجوه و يقلدونه رتبة عسكرية في الجيش الملكي ، بينما كان الدين متزوجا وله ولد ، وكان هذا الإغراء عام 1961. قال له المحافظ ما الذي ستجنيه من هذه الجبهة ؟ ستستقلون ولكن هذا البلد سيحكمه الخونة و الحركة[32] نقدم لك رتبة لكن في الجزائر ستصبح شاويش وعند الاستقلال ستبحث عن السي عثمان فتجده على ظهر المرسيدس و إذا وجدته يخرج لك عشرة آلاف و يقول لك فيما بعد سنلتقي ".

قال له الدين :" إنكم نلتم حريتكم و نحن سنستقل أيضا ".

قال له المحافظ : " ماذا تعرف عن الدول ؟ قال : فرنسا و الجزائر . عندها شتمه و قال له : " يا من أخوالكم اللفيف الاجنبي ! ما تعرف إلا فرنسا إن شاء الله سنسيل الدم من رؤوسكم إلى أيديكم ".

قال الدين:" إذا أردت تعذيبي فافعل و أنا ميسور الحال و متزوج لا أريد مالا و لا زوجة ".

كان المحافظ قد ادخل أيضا الجزائريين الشهود الذين أحضرهم الدين سليمان للإدلاء بشهادتهم و عذبوا بالتيار الكهربائي

و الضرب المبرح و ظل الدين مدة شهر مع خمسة عشر جزائريا في رواق واحد ضيق .

شرع المحقق في كتابة التقرير وفق تهمة القايد الكاذب وتضمنت التهم : ضرب المغاربة بالرصاص و دخول غير قانوني للتراب المغربي وبناء على ذلك حكم عليه ورفقائه بخمس سنين دون محاكمة عادلة .

نقل الدرك الملكي هؤلاء المجاهدين على متن شاحنة وساروا بهم إلى مكناس ومنها اركبوا القطار إلى سجن الرباط المعروف بحبس" باب العلو" على شاطئ المحيط حيث كتب في مدخله " الداخل ميت و الخارج حي ".

في سجن الرباط:

وضع الدين ورفاقه في الزنزانة رقم 8 وكانت مكتظة جدا لدرجة أن الأرجل كانت مطوية ومتشابكة وكانوا إذا ما اخرجوا إلى ساحة السجن يأمرونهم بالجري وكان ذلك مؤلما جدا للمجاهد الأسير الدين سليمان[33]. كما جيء بسجينين جزائريين آخرين من وادي ملوية احدهما السيد بومدين من المسيردة أو مغنية وهو رجل ألقت عليه فرنسا القبض وكان رقيبا أولا فحولوه إلى فرنسا و عالجوه و طلبوا منه العمل معهم في سلاح البحرية ودربوه على مدى سنتين كاملتين .أما الرجل الثاني يسمى محمد وكان مغربيا محبا للمجاهدين الجزائريين أرسلته فرنسا في مهمة إلى وادي ملوية مع

ستة عشر مغربيا آخر ومعهم الجزائري سالف الذكر ، السيد بومدين ، و زودتهم بالمتفجرات ونقلتهم مراكب ليلا كي يزرعوها في أماكن تواجد الجزائريين قصد تأليبهم على الثورة و دفعهم إلى التخابر مع الجيش الفرنسي .

كان الجزائري هو دليل هذه المراكب لكنه لم يقتنع بالعملية التي سيذهب ضحية لها مئات الأبرياء، عندها اتصل بالمغربي محمد وسأله إن كان يريد الالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية وهل يرغب في أن يطلق النار على هؤلاء المرتزقة.

أفرغ الجزائري ثلاثة خزانات رصاص على المتآمرين فأرداهم صرعى، لكن المغربي لم يطلق الرصاص وعندها قررا تسليم نفسيهما للجيش المغربي الذي أعادهما إلى مسرح العملية و سلمهما إلى عامل **وجدة** الذي سلمهما بدوره إلى العدالة، لكن المغاربة هددوا الجزائري بإعدامه إن لم يتجند في صفوف الجيش الملكي المغربي بدعوى انه قتل سبعة عشر مغربيا .

ولما ازدادت شكاوى الجزائريين ،و التي وجه بعضها إلى الملك و ابنته لالة عائشة ، أمر الملك محمد الخامس بتشكيل لجنة مختلطة للنظر في هذه التجاوزات فتشكلت بتاريخ 8 أفريل 1958 و ضمت مدير ديوان الملك السيد مسعود شيقر و وزير الداخلية محمدي و السيد بن بركة عضو المجلس الاستشاري و الفقيه البصري قائد القوات و من الجزائريين

عبد القادر معاشو و الشيخ خير الدين و حسين غديري[34] لكن اللجنة التي تدخلت لحل بعض الأمور المتعلقة بمصادرة الأسلحة و إطلاق سراح الجنود و جمركة التموين الداخل لجيش التحرير عند فقيق ، سرعان ما خبو دورها بتاريخ 18 جوان من نفس السنة و تواصلت عملية اضطهاد اللاجئين و سجن المقاتلين الجزائريين فوجه اللاجئون من منطقة قصر السوق رسائل إلى الأميرة لالة عائشة ، كما تحرك المواطنون المغاربة من مدينة وجدة باتجاه والي المقاطعة للتنديد بالحيف الذي يصيب الجزائريين و هددوا في حالة عدم معاقبة المسؤولين عن ذلك باتخاذ كل الإجراءات[35].

و بعد شهر من الحبس جاء احد الحراس يبشر الدين ورفقائه بأن الثورة الجزائرية تبحث عنهم و حضر رجلان يقولان إنهما محاميان جزائريان عينتهما جبهة التحرير الوطني.

اشتكى أمامهما من تجاهل الثورة لقضيته وعدم زيارة أي من المسؤولين لهم في السجن و هكذا نقل الرجلان القضية إلى القيادة فكانت زيارة أعضاء الحكومة المؤقتة لمدينة **تافيلالت** بمناسبة عيد التمور ، فأطلعا مسؤول الولاية عن وجود سجناء وهكذا اتصلوا بوزير الدفاع المغربي السيد محمد حردان الذي كذب أن يكون هناك سجناء جزائريون ، فأعطوه الدليل القاطع بالأسماء و المكان و السبب .

التفى وزير الحكومة المؤقتة و أخذ يسب الدين سليمان ورفقاءه وأمر باحترام قوانين الدولة المغربية لكن الدين سليمان رد بعنف

وقال: " إن المغاربة ظلموا المجاهدين وانتم تظلموننا الآن ونحن سجناء منذ ستة اشهر ".

تكلم وزير الدفاع المغربي وقال:" لا عليكم انتم مظلومون في 94 بالمائة من الحالات وان كنا نتكلم عن مغرب عربي واحد فهذا سراب ". و هكذا أعطى الأوامر بإطلاق سراحهم فتنقل ممثل الحكومة المؤقتة إلى السجن و أطلق سراحهم بمناسبة ذكرى 1 نوفمبر 1961.

العودة من سجن الرباط إلى الفيلق التاسع:

أطلق سراح المجاهد الدين سليمان بعد أن ابعد وشغل عن الجهاد من قبل الزوكيت و القايد الصديق لمدة ستة أشهر بسجن الرباط .

عاد الرجل إلى جبهة القتال ضمن الفيلق التاسع مع شهر ديسمبر 1961 واندهش لكمية السلاح ونوعيته التي اصبحت بيد المقاتلين من هاونات و رشاشات ثقيلة مضادة للطيران مثل " فون فلاك " مما جعل الطائرات الفرنسية تتجنب التحليق فوق مواقع المجاهدين ببني سمير .

وجه الدين سليمان من قبل القائد بلحرمة إلى مركز خلادي محمد، الذي تنازل له طواعية على قيادة كل المركز كعربون وفاء وصداقة و اعتراف بالكفاءة و الإخلاص، لان الدين سليمان هو من درب القائد الخلادي سنة 1958 في منطقة بني سمير .

و كان أول ما اسند للدين سليمان إيجاد حل لخمس عشرة جنديا عصوا الأوامر، و كان بينهم محمد قرين من وهران، الذي كان قبل ذلك مجندا في صفوف الجيش الفرنسي بمنطقة تندوف، ثم تمرد والتحق بجيش التحرير .اقترب منهم وعرف أسباب رفضهم العمل مع قادتهم ،فاقترح عليهم تشكيل مجموعة يعينون قائدها من بينهم وهكذا حلت المشكلة .

في هذه الفترة وصلت وسائل الإعلام الدولية، و كان من بينهم مراسلون من مصر و بلغاريا وقد صور البلغاريون على المباشر إغارة لطيران العدو واشتباك المجاهدين معها كما اخذوا صورا حية عن المركز و عمليات على الحدود .

كانت المهمة الأولى للفيلق التاسع تخريب الأسلاك الشائكة في منطقة جناين بورزق و الزوبية و حاسي الهواري و إلى غاية بني ونيف مع استهداف خط السكك الحديدة الذي يستعمله الجيش الفرنسي في نقل العتاد و القوات .

و قد زار الفيلق قادة عسكريين منهم العقيد الحاج لخضر في بني سمير حيث استقبله كل الجنود وخطب فيهم بمناسبة الخلاف بين الحكومة و القيادة

العسكرية فقال :" لماذا حضرت بنفسي حتى تتأكدوا مما أقوله و لكي يقف الجيش وقفة واحدة من الأوراس إلى الحدود المغربية ، الحكومة تقول أن القيادة العسكرية لن تحكم بعد الاستقلال و بعد تفكير وجدنا ان هؤلاء الذين عزلوا المسؤولين عن الجيش و التموين و القتال إذن فإن الجيش في خطر أي تسريح الجنود لأن غاية الحكومة من كل ذلك تعويضه بجيش التنفيذية المؤقتة (Force locale) المشكوك في أمره وهم الذين كانوا بالجيش الفرنسي أو تجندوا في الدقائق الأخيرة و عليه سنقف مع القيادة العسكرية و على الحكومة المؤقتة أن تتفاهم مع القادة ".

هذا الخطاب يشرح جانبا من الصراع على السلطة في المرحلة الانتقالية بين توقيع اتفاق 19 مارس 1962 بين هيئة الأركان بقيادة هواري بومدين الذي تعرض إلى العزل على يد رئيس الحكومة المؤقتة السيد بن يوسف بن خدة و كيف تصرفت هيئة الأركان لتفادي الانقسام في صفوف الجيش وكسبه إلى جانب هيئة الأركان .

هذا جانب من شهادات مجاهدي منطقة العرق الغربي الكبير على الحدود المغربية كما رواها أصحابها و بعضهم اليوم قد توفي إلى رحمة الله و هي تبين مقدمات ذلك العدوان السافر الذي شنته المملكة المغربية على الجزائر سنة 1963.

الهوامش:

1 -شهادة السيد الدين سليمان أدرار ، 13 مارس 2004.

2 - أحمد عبد العزيز ، هزيمة بيجار في أرض الاحرار ، ترجمة حرفية لمذكرات بيجار، " Pour une parcelle de gloire" ، الشروق للنشر و الاعلام ،بدون تارخ ولا مكان .(65 ص).

ينظر ايضا شهادة بلعقون ميلود ، أدرار في 31 ماي 2004.

3 - نفس المصدر .

4 - جمال قندل ، خطا موريس و شال على الحدود الجزائرية التونسية و المغربية و تأثيراتهما على الثورة الجزائرية 1957 -1962، دار الضياء ، الجزائر ، 2006، ص : .226

5 - جمال قندل ، المرجع السابق ، ص : .224

6 - الدين سليمان ، ادرار في 16 مارس 2004

7- Harbi Mohamed ; préface Ageron; Les Archives de la révolution algérienne;; éditions Jeune Afrique;paris 1980; p: 430

8- Idem

9- Idem

10 - الدين سليمان ، أدرار في 13 مارس .2004

11 - شهادة الشيخ بريك العيشاوي ، أدرار في أكتوبر 2010.

12- Harbi (M); op cit , pp:442-444.

13 - شهادة الدين سليمان ، أدرار في 17 مارس ,2004

14 - نفس المصدر .

15 - يقول الدين سليمان ان الطاهر محمد من تيبازة كان مسؤول القسم الاول في المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة ، كان رجلا مثقفا وكان

شخصية محبوبة و محترمة بين الجنود وكان يصنع القنابل ، نقلته القوات الفرنسية لمحاربة المغاربة باعتباره من قدماء الهند الصينية ، لكنه التحق بجيش التحرير المغربي فلما استقل المغرب عام 1956 التحق الرجل بالثورة الجزائرية عندما عرض غاربة بين البقاء في المغرب .كان يستعمل علب السردين و المربى و يملؤها بالمتفجرات ويصلها بالصواعق ، كما يستعمل جهاز الاتصال و كان يصنع الاقلام المفخخة التي تستعمل في تفجير الابواب، كان يتكلم الفرنسية بطلاقة لكنه كان لا يتحدث بها الا مضطرا و كان يفضل الحديث باللغة العربية .

16 - نفس المصدر

17- Harbi ; op cit ; Doc n°93,pp: 429-437.

18 - الوثيقة 93 في كتاب حربي ، ارشيف الثورة تتحدث عن إجلاء عشر مراكز من أربعين مركزا آخر موجودة على التراب المغربي من سعيدية في الشمال إلى قصر السوق و بوعرفة في الجنوب .

19 - مسؤول بالولاية الخامسة وهو من تلمسان عاش بعد الاستقلال بمدينة وهران و تقلد مسؤوليات في الدولة و منها وزيرا للسياحة و هو الذي اشرف على بناء نزل توات بادرار . كما عين عضوا في مجلس الامة عن الثلث الرئاسي ابتداء من سنة 2004 .

20 - شهادة ليتيم عيسى من تميمون، ولايزال حيا، أمام السيد الدين سليمان .

21 - يسكن حاليا ببشار ويملك محطة بنزين قرب مقر بلدية بشار .

22 - الدين سليمان ادرار في 16 مارس 2004

23 - عوض الشهيد بوتخيلي منصور من عين الصفراء استشهد في "مير جبل " و قامت القوات الفرنسية بقطع راسه الشريف و علقوه بمدينة عين الصفراء .

24 - شهادة الدين سليمان، 16 مارس 2004

25 - شهادة الدين سليمان ، ادرار في 27 افريل 2004

26 - نفس المصدر.

27 - تقع نواحي سعيدية داخل التراب المغربي ليس ببعيد عن الاسلاك الشائكة..

28 - شهادة الدين سليمان ، أدرار 27 افريل 2004.

29- Harbi ; op cit ; P: 443.

30 - شهادة الدين سليمان ، 16 مارس .2004

31 - الدين سليمان ، ادرار 27 .أفريل 2004

32 - نفس المصدر.

33 - كان مدير السجن فرنسيا .

34- Harbi; op cit ; p:444-445

35- Idem..